

التعريب في العصر الاموي والعباسي

للدكتور توفيق سلطان اليوزبكي

في نشر الثقافة كمدرسة حران وهي مدينة في الجزيرة شمال العراق وفكر نخبة من أساتذتها وخريجياتها منهم أبو عبد الله البتاني الفلكي المشهور ، وثابت بن قرة المترجم المشهور ، وأبو الحسن ثابت واسحق وأبو الفرج الخ. ومدرسة نصيبين وهي مدينة تقع بين أعالي بلاد ما بين النهرين التي ساعدت على نشر كتب الفلسفة اليونانية التي ترجمها النصارى النساطرة .

ومدرسة جند يسابور وهي مدينة تقع في خورستان التي كانت بها مدرسة الطب المشهورة التي أسسها كسرى وزاد نشاط هذه المدرسة بعد اتصالها بالمسلمين واشتهر من أساتذتها وطلابها في العصر العباسي جرجيس بن يختشوع الطبيب المشهور . وخفيده جريل بن يختشوع ، ويحيى بن البطريق وزكريا بن يحيى بن البطريق وأبو يوحنا بن ماسويه ، ولقد قامت هذه المدرسة بدور هام في التعريب والتأليف والترجمة من السريانية إلى العربية .

ثم انتقل الباحث إلى الحديث عن دوافع حركة التعريب فأشار إلى أن هذه الحركة بدأت في عهد عبد الملك بن مروان وابنه الوليد حيث جعلوا اللغة العربية الرسمية في دواوين الدولة ومراسلاتها ، وانكب الكثير من الداخلين في الإسلام على التبحر في علومه لفهم القرآن وإيجاد قواعد للغة العربية وهو ما اصطلح على تسميته فيما بعد بعلم النحو ، وأشار الكاتب إلى الدور الكبير الذي لعبه سيبويه — أحد تلامذة الفراهيدي —

نشرت مجلة «آداب الراغبين التي تصدر عن جامعة الموصل بالعراق ، في عددها السابع 15 تشرين الأول 1976 هذا البحث الشيق للدكتور توفيق سلطان اليوزبكي نلخصه فيما يلي :

استهل الباحث الكريم بحثه مشيراً إلى الأثر الكبير الذي أحدثته حركة الفتح الإسلامي للعراق وفارس والشام ومصر بمظاهرها العسكرية والبشرية والفكرية ، حيث أقبل سكان البلاد المفتوحة على تعلم العربية وآدابها ، وكذلك عن الأثر الذي أحدثته الفرق الإسلامية ومذاهبها في توضيح هذه الثقافة . ثم انتقل السيد الباحث إلى الحديث عن أثر الثقافات الأجنبية ومدارسها في التعريب حيث احتلت اللغة العربية المكانة اللانقة بها بين هذه الثقافات وكان لها أثر كبير على غير المسلمين للدخول في الإسلام حيث أقبل هؤلاء الأجانب على دراسة أمهات الكتب العربية حتى أصبحت بغداد حاضرة العالم الإسلامي .

ولقد ذكر الكاتب الفاضل ممن تأثرا بالفكر العربي اليهود والنصارى والصابئة حيث أخذوا ينتقلون عن اللغات الأخرى ويستدل الباحث في هذا الصدد بقول المستشرقين : سيديو وديورانت عن الأثر البالغ الذي أحدثته الحضارة العربية في الشعوب الأخرى ، حيث حافظ العرب على المؤسسات العلمية التي كانت لاهل الذمة في البلاد المفتوحة والمدارس العلمية الأخرى التي كانت بها . ثم أشار السيد الباحث إلى دور هذه المدارس

بوضعه علم النحو في صورة نظامية جرت عليها الاجيال المتبلة وكان ينافس في هذا العلم الكسائي الكونى .

ويؤكد الكاتب ان اقبال المسلمين على تشجيع حركة التعريب يعود ايضا الى ظهور الفرق الاسلامية وبروز فكرة الاعتزال والقول وفي القضاء والقدر ويؤكد المؤلف ان الفتوحات الاسلامية والفكر الاسلامي كان لهما اسهام كبير في حركة التعريب هذه حيث اقبل العرب على التزوج بالاجنبيات من البلاد المفتوحة فادى ذلك الى نشأة اجيال تجيد لغات متعددة اقبلت فيها بعد على ترجمته ونقل الكثير من علوم مختلف الامم والشعوب . ويشير الكاتب الى ان أولى محاولات التعريب في العهود الاسلامية كانت (تعريب النقاد) منذ الخليفة عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان وعلى بن ابي طالب ثم عبد الله بن الزبير ، وتوسع المؤلف في معالجة هذا الموضوع .

ثم انتقل الى الحديث عن تعريب الدواوين الذي بداه عبد الملك بن مروان فتحوّل المراسلات في الشام من الروحية الى العربية ، وتحوّل في العراق من الفارسية الى العربية على أيام ولاية الحجاج بن يوسف، أما الدواوين المصرية فقد عريت في ولاية عبد الله بن عبد الملك في خلافة الوليد سنة 87 هـ . وفي مجال حديثه عن اشهر من قام بدور التعريب ذكر الاموي الرهاوي الذي ترجم الكثير من كتب الالهيات اليونانية الى العربية.

واضطلع السريانيون بنشر الفلسفة اليونانية في العراق ، وفي عهد المأمون وبعده كان منهم (الصابئة) من تولى ترجمة الكثير من الكتب الاجنبية .

ويشير المؤلف الى ان حركة التعريب هذه انصبّت أساسا على كتب الفلسفة والطب والنجوم والمنطق وأن دوافع هذه الحركة كانت هي خدمة العلم والعمل على نشره .

ونوه بعد ذلك بدور الفرس في هذه الحركة حيث اقبل كثير منهم على اللغة العربية ومنهم موسى بن سيار الاسواري الذي عجب به الجاحظ وقال عنه ان فصاحته بالعربية كانت في وزن فصاحته بالفارسية .

واشار المؤلف في هذا الصدد الى الفصل الذي مقده ابن النديم في كتابه الفهرست عن أسماء النقلة من الفارسية الى العربية فذكر منهم عبد الله بن المقفع وآل نوبخت وموسى ويوسف ابني خالد ومحمد بن

الجهم والبرمكي وزادويه بن شاهويه وبهرام بن مردان شاه واسحق بن يزيد والبلاذري وسواها من الاسماء التي اسهمت في نقل الكثير من النفائس الفارسية الى العربية . أما من ترجم عن العبرية — يقول المؤلف — فلم يتعد اهتمامات الديانة اليهودية .

واهم ما عرب من كتب الهند كتاب «السند هند في حركات النجوم» الذي امر المنصور بترجمته الى العربية. وفي العصر العباسي الاول بدأت حركة تعريب واسعة النطاق في النواحي العلمية والثقافية منذ خلافة المنصور الذي كان شغوفا بالطب والهندسة وهو اول من راسل ملك الروم يطلب منه كتب الحكمة فبعث اليه بكتاب اقليدس وبعض كتب الطبيعيات . وشجع العلماء ، وفي هذا العصر نبغ فيلسوف العرب ابو يوسف الكندي وسواه من المشاهير. وبعد ان تحدث الكاتب عن دور الرشيد في هذه الحركة انتقل للحديث عن المأمون الذي اتقن بوالده الرشيد في اهتمامه بالعلوم فجلب الكتب من ملوك الروم وانشأ بيت الحكمة المشهور وارسل بعثات في شراء الكتب . . الخ

ويشير الكاتب الى ان حركة التعريب بلغت اشدّها على عهده حيث ترجمت في هذا العهد كتب اليونان الكبرى مثل كتب افلاطون وارسطو وستقراط وجالينوس واقليدس وارخمديس وبطليموس وغيرهم ويذهب المؤلف الى ان التعريب استمر في عنفوانه وكثافته حتى اواسط القرن الثالث الهجري وان المد التعريبي لم ينقطع وقد استمر حتى اواسط القرن الرابع الهجري . ويعود الكاتب — مرة اخرى — ليؤكد دور اهل الذمة وذكر منهم أسماء كثيرة سبق ذكرها . ويشير في الأخير الى الانادة العظمى التي افادته اللغة العربية بتوسيع معجمها بدخول الفاظ جديدة كثيرة اليها من لغات مختلفة كالفارسية واليونانية والهندية الخ .

وختم الدكتور البيزكي بحثه الماتع بقوله :

ان نشاط حركة التعريب كان بدوافع رسمية وشعبية وكان للاسلام اثر كبير في نجاح عملية تعريب الامم التي انتشر الاسلام فيها كما بعثت الحركات السياسية والفكرية والازدهار الثقافي والحضاري ولعب بعض خلفاء المسلمين دورا بارزا ومهما في توسع هذه الحركة وانتشارها بين الشعوب التي خضعت لدار الاسلام .